# التوأمان

***أدخل*** **حجرة مرسمي بعد يوم شاق من العمل ..**
**تلك الحجرة التي أجد فيها نفسي .. نعم الحجرة الوحيدة داخل البيت .. بعد أن أقوم بنزع كل الأقنعة الزائفة التي أضطر لارتدائها كل يوم ، والتي رسمتها الأيام على وجهي كأفضل رسام ، حتى أعجب كل البشر ..**
**أضيئ مصباح الحجرة ..**
**تبتسم الجدران ..**
**تتمطع الألوان من ركود نومها .. ومعها أشعر وكأني ولدت من جديد ..**
**آخذ أنفاساً نظيفة متتالية ، تدخل سريعاً إلى صدري المعبأ بالزيف والأكاذيب .. أسَمِّى الله ومن ثم أقوم برفع قطعة القماشة البيضاء من فوق اللوحة التي لم تكتمل بعد ، وهذا ما لم يحدث من قبل ..**
**تلك اللوحة التي كثيراً ما أقف أمامها وأشعر معها بالعجز لعدم اكتمالها ، ويزداد عجزي لعدم معرفة ما ينقصها ، وكثيراً ما ينتابني شعور كأني أمسك الفرشاة لأول مرة**
**رحت أحدق فيها طويلاً للمرة الـ ( ..... ) باحثاً بعين الفنان والمتلقي عن الشيء الناقص فيها.. شيء كبير وحيوي إذا أمسكت به سوف يضفى عليها مزيداً من الجمال ، ولكن أين هو؟! وما هو؟!**

**وكيف الوصول إليه؟!**

**آه ه ه ه ه ه**

**الفرشاة النائمة في بحر مائها استيقظت على الفور وراحت تناديني .. انتشلتها من غرقها ، وضعتها بين أصابعي ، ثم عاودت النظر مرة ثانية إلى اللوحة ..**

**فجأة ..**

**انفتح باب حجرتي بقوة شديدة على مصراعيه .. تلك القوة التي أربكتني وجعلت الفرشاة تسقط من بين أصابعي ..**

**بقوة الصاروخ اندفع نحوى طفلاي التوأمان (فريد) و(حسام) .. قدومهما نحوى بهذه السرعة أشعرني بالخوف على اللوحة التي لم تكتمل .. دفعني خوفي هذا بفرد يدىَّ على اتساعهما ..**

**قوة تسابقهما واندفاعهما نحوى جعلاهما يصطدمان بي؛ فأوقعاني فوق لوحتي التي سقطت على الأرض ..**

**وقف كل منهما يطالبني بنصف جنيه كعادتهما فور علمهما بعودتي من عملي ..**

**غاضباً .. مستسلماً قمت من مكاني ورحت أدس أصابعي داخل جيب بنطالي ، وأخرجت لكل منهما نصف جنيه ..**

**صرخ في وجهي ( فريد ) الذي يكبر أخاه ( حسام ) بدقيقة ونصف فقط :**

**_ أنا الأول ..**

**قاطعه ( حسام ) في حدة :**

**_ لأ أنا الأول .. أنا أقوى منك**

**_ لأ .. أنا الأقوى ..**

**ولأني أعرف مدى الخلاف الشديد فيما بينهما ، والذي وصل إلى منتهاه من فرط حب سيطرة كل منهما على الآخَر ؛ حتى تغلغلت الأنا وتضخمت بداخل كل منهما ، وتملكته ..**

**في خبث مصطنع منى مددت يديَّ في وقت واحد نحوهما وفي كل يد نصف جنيه .. التقطا النصفين في وقت واحد وسرعان ما أسرعا خارج الحجرة كما الطائرة ، يود كل منهما الخروج من البيت قبل الآخَر من أجل أن يصل أولاً إلى بقالة (الخواجة)**

**الذي حط على ناصية الشارع فجأة ..**

**تداعت أمام ناظري مقولة أمي طيب الله ثراها ، والتي كانت تحب أن ترددها فور انتهائي وإخوتي من طعام الإفطار**

**( اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم دائماً )**

**رويداً ..**

**رويداً ..**

**جرفني تيار خلافهما مرة أخرى ..**

**جلست أفكر في أمر التوأمين اللذين يختلفان كلياً وجزئياً عن سائر التوائم في كل شيء ، لقد حاولت ردم فجوة الخلافات الفاصلة فيما بينهما وإقامة ( جسر ) قوامه المحبة والإخلاص .. مرات عدة حاولت فيها لم شملهما أو على الأقل يصافح كل منهما الآخَر ، ولكني في كل مرة أفشل ، ويشهد على فشلي هذا أعمام وأخوال التوأمين وكان آخرهم شقيقي الأكبر _ المقيم في السعودية منذ سنوات لظروف عمله _ والذي راح ينظر إليهما في غيظ شديد ثم ينظر إليَّ في غيظ أشد دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، وعندما ضاق بهما وبي وبنفسه ، ولم يعد لديه ما يقوله أو يفعله ، صرخ في وجهي وعيناه**

**عليهما :**
**(سيبهم يخبطوا دماغهم في الحيطة.. هما اللي خسرانين)**
**كل الأشياء الجميلة التي كانت مشتركة فيما بينهما انقسمت فجأة بقدرة قادر إلى نصفين ..**
**حجرة نومهما ..**
**ملابسهما ..**
**طعامهما ..**
**ألف سؤال وسؤال راح يهاجمني دون الوصول إلى إجابة**
**انسحبت داخل نفسي ؛ بعدما لملمت شتات هزيمتي مثل كل المرات السابقة كلما حاولت الوصول إلى حل مع التوأمين**
**آه ه ه ه ه ه ه**
**قمت بوضع اللوحة فوق حاملها مرة أخرى ..**
**فجأة ..**
**رأيت وجه ( الخواجة ) يتربع فوق اللوحة وابتسامته الصفراء التي ملأت اللوحة عن آخرها .. تلك الابتسامة التي كثيراً ما حاولت وفشلت في ترجمة معانيها .. هذا الرجل الذي لا أعرف له أصلاً أو حتى مصدر فلوسه التي من خلالها راح يشترى معظم بيوت الحارة ، مهما كان ثمنها .**
**هذا الرجل الذي دائماً ما أجده ينتظرني أمام دكانه ليوقفني عند عودتي من عملي ، تسبقه إلىَّ ابتسامته الغامضة ، وهو يقول :**
**( مش عاوز أفك لك جنيه نصين )**
**ما السر وراء الاهتمام الزائد لذاك الرجل بي ..؟!**
**هل هذه محبة زائفة منه ؛ حتى يجرفني تيار البيع وأبيع له أنا**

**الآخَر..؟! أو لأن نصفى الجنيه سوف يعودان إليه مرة أخرى؛ عندما يؤتى بهما التوأمان لشراء حاجاتهما؟!**

**آه ه ه ه ه ه**

**رحت أتحرك داخل الحجرة عاقداً يدي خلف ظهري ، وأنا أفكر بصوت عالٍ عازماً عزماً أكيداً على عدم خروجي من هذه الحجرة دون الوصول إلى حل .. حل ينسف جبال الخلافات القائمة بين التوأمين ..**

**قلق ..**

**خوف ..**

**احتمالات ..**

**ظنون ..**

**خيول عربية أصيلة جامحة راحت تداهم صحراء فكرى بشدة ؛ حتى شعرت أن رأسي قد انشطر إلى نصفين ، وعندما ضاق صدري بأسئلتي التي راحت تنساب فيه ، ونفد صبري دون الوصول إلى إجابة، رحت أحدث نفسي: هل أنسحب وأعلن هزيمتي كما تعودت ..؟!**

**خرجت من جوفي لاءات كثيرة أوشكت الحجرة أن تمتلئ بها..**

**عدت وحاولت الوصول إلى إيجاد حل مرة ومرات دون تعجل ..**

**فجأة ..**

**قفزت إلى مخيلتي فكرة جديدة .. جريئة لم تخطر على بال أحد من الإنس أو حتى من الجن .. فكرة وجدت فيها الحل الوحيد وعلى إثره وجدت نفسي أردد في سعادة :**

**( اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم .. )**

**( اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم .. )**

عدت ووقفت أمام اللوحة لعلى أكتشف الناقص فيها ، لأجد أنها قد ثنيت من جانبها الأيمن من جراء اندفاع التوأمين نحوى .. ليست هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها التوأمان _دون قصد_ تمزيق هذه اللوحة..هذه اللوحة دون غيرها من اللوحات السابقات.. ولكني قادر على إصلاحها

## -2-

ساعات طويلة وأنا أقف أمام اللوحة ؛ كي أعالج ما أفسده التوأمان ، ومن حين لآخر أنظر إلى باب حجرتي الذي تركته (مواربا) بعض الشيء في انتظار دخول التوأمين .

وفي لهفة شديدة ، دخلا علىَّ كعادتهما مسرعين كعربتين فقد سائقاهما السيطرة عليهما ، نجحت في صدهما قبل أن يصطدما بهذه اللوحة ، كما اعتادا ، ودون أن أسمح لأحدهما بكلمة واحدة ، رحت في هدوء مصطنع وبطء شديد أدس أصابعي داخل جيبي الذي جعلته خاوياً إلا من جنيه وحيد ( ماسك بعضه ) أخرجته في هدوء وعيني عليهما ، وضعته بين أصابعي العشرة ورحت أبدأ في وضع الخطوط الأولى لخطتي .. قلت في خبث مصطنع :

_ أنا مش معايا نصين .. معايا جنيه وحيد ماسك بعضه و.....

قاطعني ( فريد ) بحدة :

_ أنا اللي حاخده لأني .....

قاطعه ( حسام ) بدوره :

_ وليه ما يكونشي أنا ..

**_ لأ أنا ..**
**_ لأ أنا ..**
**اندفع الاثنان نحو الجنيه _القابع في صمت وحيرة_ في وقت واحد ، لينقطع إلى نصفين ، وليفاجأ كل منهما أن بين أصابعه نصف الجنيه**
**وقفت أشاهد في صمت التصاعد الدرامي للحدث المنشود**
**كل منهما راح يحدق _ وبشدة _ فيما بين أصابعه ثم ينظر في حسرة وألم إلى ما في يد الآخَر وتارة ثالثة يتبادلان النظرات في صمت موجع ..**
**رحت أتأمل انكسارهما في سعادة بالغة .. ومن وقت لآخر تطفو على وجهي بسمة خافتة ..**
**لفهم حزن وصمت موحش .. ذلك الصمت الذي راح يطول ويطول ثم يطول ..**
**أرى في عينيهما كلاماً كثيراً ..**
**خجلهما الشديد من نفسيهما جعلهما غير قادرين على تفوه أحدهما ولو بكلمة واحدة ..**
**في تحد واضح رحت أسألهما :**
**_ الجنيه اللي معاكم مش حينفع ينصرف إلا إذا التحم والتصق كما كان ..**
**أخرستهما المفاجأة للحظات ، دون أن يجيبني أحدهما ..**
**سكاكين نظراتي المتلاحقة والتي راحت تطعنهما في أعينهما ؛ جعلتهما يتركان الحجرة الواحد تلو الآخر وهما يجران خلفيهما وقائع الهزيمة القاسية والانكسار ..**
**رميت بجسدي فوق الكرسي الهزاز كاتماً بشدة ضحكاتي التي تود**

**الخروج ..**

**رأيت ( الخواجة ) على غير عادته يجلس حزيناً واضعاً يده أسفل ذقنه تارة وتارة أخرى عيناه زائغتان تنظران في حيرة يمنة ويسرة تفتشان في وجوه المارة عن التوأمين ..**

**أفقت من غفوتي لأجد التوأمين يقفان جنباً إلى جنب أمام اللوحة وفى يد كل منهما فرشاة يرسمان معاً سوراً حديدياً قوياً كحائط صد حول ( المسجد الأقصى ) ، هزني الموقف بشدة ، وقفت للحظات غارقاً في صمتي ؛ فقد كان وقع المفاجأة على ثقيلاً .. وجدت نفسي أنسحب في بطء شديد حتى لا يشعرا بي وأنا أهمس :**

**السور الحديدي إنه الشيء الناقص في لوحتي ، والذي بحثت عنه طويلاً ، وقبل أن أغادر الحجرة سمعت صوت قبلات حارة التفت إلى مكانها .. وجدت نصفى الجنيه كل منهما يقبل الآخَر في عناق حار،بعد أن تم لصقهما جيداً .**